البَابُ الثَانِي

مدينة الفارابى الفاضلة

الفصل الأول : المؤثرات الفكرية والسياسية في فلسفة الفارابى الاجتماعية.

الفصل الثانى : الاجتماع الإنسانى والمدينة الفاضلة.

الفصل الثالث : عقيدة أهل المدينة الفاضلة.

الفصل الرابع : مكانة مدينة الفارابى الفاضلة بين كتب الفلسفة الإسلامية.

الفَصْل الأوَّل

المؤثرات الفكرية والسياسية
في فلسفة الفارابى الاجتماعية

«أبو نصر الفارابى».

فيلسوف المسلمين غير مدافع ـ كما يقول القفطى.

وأوحد زمانه وعلامة وقته ـ كما وصفه ابن أبي أصيبعة.

وأكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه ـ كما نعته ابن خلكان

اتفق المؤرخون على اسمه وكنيته ونسبته فهو: أبو نصر محمد الفارابي واختلفوا في نسبه وجنسيته:

فمن قائل إنه: محمد بن محمد بن محمد بن طرخان أصله من الفارياب بأرض خراسان[1].

ومن قائل: محمد بن محمد بن طرخان من الفاراب، إحدى مدن الترك فيما وراء النهر[2].

ومن قائل: محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان مدينته فاراب، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان وكان أبوه قائد جيش وهو

---

(١) الفهرست ـ ابن النديم ص ٣٦٨.

(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ القفطي ص ١٨٢.

فارس المنتسب[1]. إلى قائل: محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركى الحكيم[2].

ولد الفارابي عام ٢٥٩هـ تقريباً وتوفي عام ٣٣٩هـ عن عمر ناهز الثمانين، ومن المعلوم أن سني الوفاة للأعلام تذكر على وجه اليقين غالباً، وتذكر سنو الميلاد على وجه التقريب دائمًا؛ لأنه لم يكن يعنى بتسجيل لحظة الميلاد، كما أن موكب التاريخ لا يلتفت إليهم إلاّ وقد بلغوا مبلغ العلماء والعظماء.

تلقى الفارابي علومه الأولى في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية وكعبة العلم والحكمة، وتتلمذ على أبي بشر متى بن يونس الذي إليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره، على حد تعبير ابن النديم ـ وارتحل إلى حرّان وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفاً من المنطق.

وكثرت رحلات أبي نصر بسبب الاضطرابات السياسية في عصره، فطوف على مصر ودمشق واستقر به المقام في حلب عند سيف الدولة الحمداني، واشتهر الفارابي في تلمذته بالسعي في طلب العلم واحتمال النصب في سبيله ويذكر أنه قال: قرأت كتاب السماع لأرسطو أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودته.

ويقال إنه وجد كتاب النفس لأرسطو وعليه مكتوب بخط الفارابي إني قرأت هذا الكتاب مائة مرة.

وأتقن أبو نصر عدة لغات أوصلها ابن خلكان إلى سبعين لغة: هى لغات عالمه حينئذ، وروى في ذلك رواية طريفة هي[3]:

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ ابن أبي أصيبعة جـ ٢، ص ١٣٤.

(٢) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان جـ ٤، ص ٢٣٩.

(٣) وفيات الأعيان جـ ٤، ص ٢٤١.

«لما ورد الفارابي على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك، وكان ذلك زيه دائماً، فوقف، فقال له سيف الدولة: اقعد.

فقال: حيث أنا أم حيث أنت؟.

فقال: حيث أنت.

فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه، وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل أن يعرفه أحد.

فقال لهم بذلك اللسان:

إن ذلك الشيخ قد أساء الأدب وإني مسائله عن أشياء إن لم يوف بها فأخرقوا به.

فقال له أبو نصر بذلك اللسان:

أيها الأمير اصبر فإن الأمور بعواقبها.

فعجب سيف الدولة منه وقال له:

أتحسن ذلك اللسان؟؟.

فقال: نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً.

فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده.

ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به وقال له:

هل لك في أن تأكل؟.

فقال: لا.

فقال: هل تشرب؟ فقال: لا.

فقال: هل تسمع؟ فقال: نعم.

فأمر سيف الدولة بإحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي فلم يحرك أحد منه آلته إلاّ وعابه أبو نصر وقال له: أخطأت.

فقال له سيف الدولة: وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً؟.

فقال: نعم.

ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك كل من كان في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس، ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج».

وهذه الرواية أشبه بالأساطير، إلاّ أن لها ظلاً من الواقع فهي تؤكد معرفته باللغات ومهارته في الموسيقى ولذا ينسب إليه صناعة آلة القانون، ويقول ابن أبي أصيبعة «وكان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ويذكر أنه صنع آلة غريبة يسمع منها ألحان بديعة يحرك بها الانفعالات».

هذا وقد لقب الفارابي بالمعلم الثاني وسئل مرة: من أعلم أنت أم أرسطو؟ فقال: لو أدركته لكنت أكبر تلاميذه!!..

ومن المشهور أن المعلم الأول هو أرسطو ويعنون به معلم صناعة المنطق ـ كما يقول ابن خلدون[1] ـ فهو الذي هذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله أول العلوم الحكيمة وفاتحتها.

والمختار في سبب تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني، أنه في الإسلام كأرسطو في اليونان جمع علوم الفلسفة، وهذب مباحثها وأحصى كتب أرسطو ورتبها والناس بعده عيال عليه في الفلسفة.

---

(١) المقدمة ص ٢٩٢ ـ ٣٢٧.

وعاش الفارابي كبير الهمة متواضع النفس، أتته الدنيا بزخارفها فاكتفى منها بأربعة دراهم كل يوم، أجراها عليه سيف الدولة ولم يكن يحفل بأمر هيئة أو مسكن، ويذكر أنه كان يخرج إلى الحراس ليلاً يستضيء بمصابيحهم فيما يقرأه، وعشق الطبيعة وجمالها الساحر ولم ير وهو في دمشق إلاّ عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض.

وقد عاجلته منيته في دمشق، وصلى عليه سيف الدولة في نفر من أصحابه بعد أن تزيى بزي أهل التصوف، ودفن بها.

وبعد ـ فإن الجانب الذي نتتبع دراسته عند الفارابي ـ وهو المجتمع المثالي ـ ليجعلنا نتحسس جذوره في عمق الفكر الإسلامي، ونتعرف مناخ بيئته ومؤثرات نمائه.

ولعل ذلك كامن في العوامل التالية:

أولاً: الإمامة والخلافة قضية الفكر الإسلامي الأولى:

بدأت قضية الإمامة ورسول الله ﷺ مسجى، حين اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ولحق بهم أبو بكر وصاحباه عمر وأبو عبيدة، وبعد جدل مرير وصخب شديد تمت بيعة أبي بكر خليفة لرسول الله ﷺ واستجاب الأنصار لنداء أبي بكر بأن العرب لا تعرف هذا الأمر (الرئاسة) إلاّ لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب داراً ونسباً، وتخلت عن زعيمها سعد بن عبادة، غير أن فريقاً آخر أبى أن يبايع وتمسك بحق القربى وهم بنو هاشم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وختنه على ابنته فاطمة الزهراء.

ولم تمض فترة غير بعيدة حتى بايع علي أبا بكر وقبل روايته عن الرسول: «نحن معاشر الأنبياءِ لا نورثُ ما تركناهُ صدقة، وإنما يأكلُ آل محمد من هذا المال». ورفض عبية الجاهلية وقال لأبي سفيان حين

استثاره على أبي بكر: يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئاً إنا وجدنا أبا بكر أهلاً لها.

ومضت الأيام وتوالت الأحداث إلى أن دهم الأمة ما دهمها، وقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه وانقسم الناس حينئذ قسمين:

١ ـ قسم بايع علياً كرّم الله وجهه.
٢ ـ قسم اتهم علياً بمـمالأة القلة ويرأسه معاوية بن أبي سفيان وامتشق الحسام ووقعت خدعة التحكيم وافترق أنصار علي إلى:

أ ـ الخوارج الذين رفضوا التحكيم وقالوا «لا حكم إلّا الله».
ب ـ الشيعة وهم الذين قالوا بإمامة علي واعتقدوا أنها لا تخرج عن ذريته.

وبقيت طائفة من المسلمين تراقب الموقف دون أن تدخل في معمعة الصراع الدائر وأرجأت أمر الأمة إلى الله ولم تـدل برأي، وهؤلاء هم المرجئة.

وتفـاقم أمر هـذا الخلاف العسـكـري بين المسلمـين وهرعـوا إلى كتاب الله وسنة رسوله لتقرير عقائدهم السياسية فتعددت الفرق الدينية وكان منها:

١ ـ الجبـرية:

وقد نادى بالجبر الأمويون تثبيتاً لحكمهم وأشاعوه بين الناس فقد روى البخاري في كتاب القدر من صحيحه عن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال:

كتب معاوية إلى المغيرة. اكتب إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة؟ فأملى علي المغيرة قال: «سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: لا إلَه إلّا الله وحده لا شريك له اللّهمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وقال ابن جريج: أخبرني عبدة أن

ورادأ أخبره بهذا ثم وفدت بعد إلى معاوية فسمعته يأمر الناس بذلك القول.

وحدثت الروايات[1] أن يزيد بن معاوية قال لمن حوله عندما حمل إليه رأس الحسين رضي الله عنه: أتدرون من أين أتى هذا؟ إنه قال: أبي علي خير من أبيه وأمي فاطمة خير من أمه وجدي رسول الله خير من جده وأنا خير منه وأحق بهذا الأمر؛ فأما أبوه فقد تحاج أبي وأبوه إلى الله وعلم الناس أيهما حكم له وأما أمه فلعمري فاطمة بنت محمد خير من أمي وأما جده فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً. ولكنه أتي من قبل فقهه ولم يقرأ «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك من تشاء».

٢ ـ القدرية:

وقاموا من أجل نفي كون القدر سالباً للاختيار الإنساني وأرادوا الدفاع عن شرعية التكاليف ومسؤولية الإنسان، ويروى أن معبدا الجُهني وعطاء بن يسار كانا يأتيان الحسن البصري ويسألانه:

«يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال، ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر الله».

ويرد عليهم الحسن: كذب أعداء الله[2].

٣ ـ المعتزلة:

ونشأت هذه الفرقة من قضية سياسية مغلفة بالدين، وهي حكم مرتكب الكبيرة، تلك القضية التي شغلت الفكر الإسلامي آنذاك، ويعلل أحد المستشرقين[3] احتضان العباسيين للمعتزلة، بأنه راجع إلى قولهم

---

(١) الله ـ عباس محمود العقاد ص ١٦٥.

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبد الحليم محمود ص ٢٠٤.

(٣) ينابيع الفكر الإسلامي، د. محمد غلاب ص ٣٤.

بالمنزلة بين المنزلتين، وحكم عمرو بن عبيد ـ أحد رؤوسائهم ـ على كل من اشترك في واقعة الجمل بالفسق؛ لارتكابه كبيرة تجعله في منزلة بين الكافر والمؤمن.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الترجمة العربية لعلوم اليونان وفلسفتهم بدأت بترجمة المنطق كي يخدم الحِجاج السياسي والديني الدائر على أشده في البيئة الإسلامية حينئذ.

وإذا كان الشهرستاني قد قال: ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلّ على الإمامة في كل زمان، فإني أقول بكل ثقة:

ما انقدح فكر في شأن من شؤون الإسلام مثلما انقدح في الجانب السياسي!!.

وإذا كان ذلك الرصيد ضخماً وتلك التجربة طويلة وهذا الجهاد متصلاً، أفلا يكون ذلك كله «مغناطيسياً» يجذب فكر الفارابي ليدلي بدلوه ويشارك برأيه في إرساء قواعد مجتمع فاضل ينشد الحق ويرنو إلى السعادة؟!.

ثانياً: ضعف الخلافة العباسية:

عاش الفارابي في العهد العباسي الثاني بعد أن توقفت حركة النهضة العلمية والسياسية الكبرى التي قادتها بغداد، ذلك أن الخلافة العباسية التي قامت على أنقاض الأمويين عام ١٣٢هـ قد خطت خطوات حثيثة على درب العلم والفلسفة، وتحقق لها مجد سياسي لا يطاول.

ورويداً رويداً أخذ التدهور يتجلى، ووقع الخلفاء العباسيون تحت سيطرة المماليك الأتراك والديلم والسلاجقة، واجترأ أمراء الأطراف على الاستقلال، وتمزقت الامبراطورية الكبرى إلى دويلات، فكانت الحمدانية في الموصل وحلب، والطولونية في مصر ومن بعدها الأخشيدية والفاطمية في

شمال أفريقيا، وقام الظاهريون والسلمانيون في الشرق، كما قامت في الأندلس دولة مستقلة منذ وقت مبكر في عهد الأمويين، وماج ما بقي تحت الخلافة العباسية بالفتن والاضطرابات.

وقد تجمعت عدة عوامل أدت إلى ضعف الخلافة ثم سقوطها أهمها:

١ ـ الشعوبية التي كانت سمة العصر فالدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس الذين لم يخلصوا لها فقد كان ولاؤهم لمجدهم الذي يتوارثون ذكراه.

٢ ـ الصراع المرير بين العباسيين والأمويين، ثم بين العباسيين والعلويين، قد مزق الولاء الديني الذي قامت على أساسه الدولة العباسية.

٣ ـ حركات الاستقلال المتتابعة، وازدياد النفوذ الأجنبي داخل قصور الخلافة قد أودى بالسيادة العربية وقطع أوصالها.

وبعد فإن العالم الإسلامي في ذلك الوقت كان محتاجاً إلى إرساء قواعد مجتمع فاضل يوحد ولا يفرق وإلى خلافة راشدة تسمو عن المظاهر الخادعة والأغراض الدنيا، تؤثر الحق وتبغي العدل وتصون الكرامة.. وإن الفارابي لجدير بأن يشارك في هذه الرسالة عسى أن يوفق ويحظى بقصب السبق.

ثالثاً: رحلاته إلى مراكز الحركة الفكرية:

طوف الفارابي كثيراً شأن علماء عصره، يأخذ العلم من منابعه، ويستقي الحكمة من أصولها ويلازم العلماء ويلتقي بالرواد.

وصل إلى بغداد ومكث بها طويلاً يتعلم المنطق والفلسفة، وتوجه إلى حران ثم عاد إلى بغداد التي قضى بها ما يقرب من عشرين عاماً وألف فيها أكثر كتبه ثم انتقل إلى دمشق ورحل منها إلى مصر ثم ولى وجهه شطر حلب وأقام عند سيف الدولة الحمداني بضع سنين يعتزل الناس ويؤثر التعمق في الحكمة وعلومها ويخلو للكتابة والتأليف حتى عظم شأنه

وظهر فضله، واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار أوحد زمانه وعلامة وقته.

ويحسن أن نشير في إيجاز إلى أهمية تلك المراكز العلمية في ذلك الوقت.

(أ) بغداد:

أسسها المنصور الخليفة الثاني من بني العباس عام ١٤٥هـ لتكون عاصمة الخلافة، وحظيت بحركة الترجمة العربية الكبرى، فترجم المنطق والطب في عهد أبي جعفر المنصور الذي جاوز طبيعة الشح فيه وجاد بالكثير من الأموال على النقلة والمترجمين، وازدهرت الترجمة في عهد المأمون وظهرت الفلسفة الإلهية «ولم تمض ثمانون عاماً على تأسيس بغداد - كما يقول أحد المستشرقين[1] - حتى كان العرب يقرأون بلغتهم معظم ما كتبه أرسطو، وما نسب إليه ككتاب علم المعادن واستخراجها والميكانيكا والإلهيات، كما كان العرب يقرأون بلغتهم أكثر مؤلفات أفلاطون والأفلاطونية الحديثة وأهم ما كتبه أبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الكتاب والشراح، ولم يقفوا عند علوم اليونان بل تجاوزوها إلى الترجمة من الفارسية والهندية، وبينما كان المسلمون يعيشون في هذه النهضة العلمية كانت علوم اليونان غير معروفة تقريباً للأوروبيين ويقول «حتي»: «إنه بينما كان الرشيد والمأمون يخرجان كنوز الفلسفة اليونانية والفارسية كان معاصروهم في الغرب من أمثال شارلمان وسادة مملكته يتعثرون في تعلم كتابة أسمائهم».

(ب) مصر:

بنى عمرو بن العاص مدينة «الفسطاط» وشيد أول مسجد في أفريقيا الإسلامية، وعلى عهد ابن طولون كانت القطائع بجوار الفسطاط مزينة

(١) الفكر الإسلامي منابعه وآثاره ترجمة د. أحمد شلبي ص ٨٥.

بالقصور ومسجدها الفخم.. وكلها مراكز إشعاع فكري وتوجيه ديني ومطارحات أدبية.

واشتهر ذلك العصر بطائفة كبيرة من العلماء والمحدثين والمتصوفة والأدباء والمؤرخين نذكر منهم على سبيل المثال[1]:

القاضي بكار بن قتيبة وأبا الفيض ذا النون المصري والربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي، وابن الحكم المتوفى ٢٥٧هـ وأول مؤرخي مصر الإسلامية، وبلغ الأدب بمصر في عهد الطولونيين درجة عظيمة من التقدم، فقد روى المقريزي عن القاضي أبي عمرو عثمان النابلسي الذي قال في كتابه: «حسن السيرة في اتحاد الحصن بالجزيرة» أنه رأى كتاباً لا يقل حجمه عن اثنتي عشرة كراسة يحوى فهرسة شعراء ميدان ابن طولون، فإذا كانت أسماء الشعراء في اثنتي عشرة كراسة فكم يكون عددهم وكم يكون مقدار شعرهم وما يكافؤون به من الأموال.

(ج) حلب:

الدولة الحمدانية من أصل عربي، وتنسب إلى حمدان بن حمدون قامت في الموصل وامتد حكمها إلى حلب وحمص ودمشق.

وأشهر ملوكها سيف الدولة الذي قام بدفاع مجيد عن البلاد الإسلامية في وجه البيزنطيين، واهتم بالعلماء وأعاد مجد هارون الرشيد والمأمون واجتمع ببابه ما لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء، ويروى أن أبا الفرج الأصفهاني قدم كتابه «الأغاني» لسيف الدولة فكافأه بألف دينار واعتذر إليه بضيق الحال.

ومن الشعراء الذين وفدوا عليه أبو الطيب المتنبي والذي انقطع لمدحه تسع سنين كاملة ـ بقصائد عصماء تعادل ثلث شعره، وتعد من أقواه وفي الذروة منه وتسمى بالسيفيات...

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د. حسن إبراهيم جـ٣، ص ٣٣٦.

ومن قصيدة عتاب له يقول:

مالي أكتم حباً قد برى جسدي ... وتدّعي حبَّ سيفِ الدولة الأممُ
إن كان يجمعنا حب لغرتهِ ... فليت أنّا بقدر الحب نقتسم
يا أعدل الناس إلاّ في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كل شيء بعدهم عدم

ومن شعراء هذه الدولة أيضاً أبو فراس الحمداني ابن عم سيف الدولة قال عنه الصاحب بن عباد: «بُدىء الشعر بملك وختم بملك» يقصد امرأ القيس وأبا فراس، ومن شعره:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ونحن أناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

* * *

وبعد فإن هذه الرحلات العلمية لأثراً كبيراً في فلسفة الفارابي، ولعل لها توجيهاً لفكره نحو دراسة المجتمعات، وفحص نظمها وتقييم حياتها.

رابعاً: الانتماء الفكري لأفلاطون وأرسطو:

مرت الفلسفة الإسلامية بأطوار ومراحل نوجزها فيما يلي:

١ ـ في أعقاب الخلافات السياسية ـ التي ظهرت ورسول الله عليه الصلاة والسلام مسجى ـ قامت حركة فكرية عميقة تجاوزت الجانب السياسي إلى الثقافة الإسلامية، فكان هناك علم الكلام الذي قال عنه «رينان»[1] إن الحركة الفلسفية الحقيقية في الإسلام يجب أن تلتمس في مذاهب المتكلمين.

٢ ـ ظهرت حركة الترجمة وتطورت من الطب والكيمياء إلى المنطق والإلهيات وكان العصر الذهبي لها هو عصر المأمون، وتحددت ملاح

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية الشيخ مصطفى عبد الرازق ص ١٢.

الفلسفة الإسلامية وشقت مسارها في حياة المسلمين وتكونت من:

أ ـ كتب أفلاطون وأرسطو.

ب ـ مدرسة الاسكندرية والأفلاطونية الحديثة.

جـ ـ عقائد الهنود والفرس وحكمتهم.

د ـ الفرق الدينية النصرانية التي أثرت على عقول المترجمين من النساطرة واليعاقبة.

وقد اجتمعت تلك العناصر وتمازجت مع ما تموج به البيئة الإسلامية حينذاك من اتجاهات سياسية ومذاهب دينية فتكون مزيج نادر وعجيب. غير أن الجانب البارز هو تأثير أرسطو في فلاسفة المسلمين فقد فاز بنصيب الأسد حتى قال الشهرستاني عنهم: (قد سلكوا كلهم طريقة أرسطو طاليس في جميع ما ذهب إليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين»[1].

ومن المعروف أن ابن رشد أكبر فلاسفة الإسلام تشيعاً لأرسطو، فهو مفتون به معظّم له حتى لو سمعه يقول ـ على حد تعبير ابن سبعين[2] ـ أن القائم قاعد في زمان واحد لقال هو به واعتقده، وأكثر تآليفه من كلام أرسطو، وإذا استطلعنا رأي الفارابي وجدناه ينحو منحى آخر هو الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو «فهما مبدعان للفلسفة، ومنشئان لأوائلها وأصولها، ومتممان لأواخرها وفروعها وعليهما المعول في قليلها وكثيرها وإليهما المرجع في يسيرها وخطيرها، وما يصدر عنهما في كل فن إنما هو الأصل المعتمد عليه لخلوه من الشوائب والكدر، بذلك نطقت الألسن وشهدت العقول، إن لم يكن من الكافة فمن الأكثرين من ذوي الألباب الناصعة والعقول الصافية».

والأسباب التي دفعت الفارابي إلى هذا الجمع هي:

١ ـ الإيمان المطلق بوحدة العقل الذي يتمخض عنه وحدة الفلسفة، فمن

(١) الملل والنحل ـ تحقيق محمد سيد كيلاني جـ ٢، ص ١٥٨.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٤١.

حقها ـ إذن ـ أن تنتقل من زمان إلى زمان، ومن مدرسة إلى مدرسة، ومن معلم إلى آخر من غير أن تتبدل غاياتها ومقاصدها، فإن الحقيقة الفلسفية لا تقل وحدة عن الحقيقة العلمية، وإذا كانت الفلسفة واحدة كان من الواجب على كل فيلسوف أن يجمع بين آراء الفلاسفة[1].

٢ ـ التوفيق بين الوحي والعقل، أو الدين والفلسفة فقد أراد أن يرأب صدع الفلسفة حتى لا يتخذ أحد من اختلاف الحكيمين دليلاً على فساد المنهج الفلسفي وتناقض العقل البشري، فوحد الفارابي الجبهة الفلسفية لتسهل عليه محاولة التوفيق بين الطرق المختلفة للوصول إلى الحقيقة الواحدة.

وإن التصور الذي انطلق منه الفارابي لمحاولة الجمع بين رأيي الحكيمين هو أن مواطن الخلاف في القضايا المشتركة التي عالجها ترجع إلى واحد من احتمالات ثلاثة هي:

أ ـ أن يكون هذا الحد المبين عن ماهية الفلسفة غير صحيح.

ب ـ أن يكون رأي الجميع أو الأكثرين واعتقادهم في تفلسف هذين الرجلين سخيفاً مدخولاً.

جـ ـ أن يكون في معرفة الظانين فيهما بأن بينهما خلافاً في هذه الأصول ـ تقصير.

وقد رد الفارابي الاحتمال الأول والثاني؛ لأن حد الفلسفة الوارد عنهما صحيح وهو «العلم بالموجودات بما هي موجودة» ولأن أصح شيء ما شهدت به العقول واتفقت عليه بعد تأمل منها وبحث وتبصر وقد اتفقت الألسنة على تقديم هذين الحكيمين، ويضرب بهما الأمثال في التفلسف. فلم يبق ـ إذاً ـ إلاّ الاحتمال الثالث وهو أنه لا خلاف بينهما في الأصول لكن التقصير في معرفة متوهمي الخلاف هو الذي دفع إلى مثل هذا الاعتقاد.

---

(١) من أفلاطون إلى ابن سينا ـ د. جميل صليبا ص ٤٩.

واعتمد الفارابي في محاولته على كتب منحولة نسبت زوراً لأرسطو مثل كتاب «الربوبية» الذي هو عبارة عن قطع مختارة من موسوعات أفلوطين، وقد استبعد من منهجه فكرة الانتحال؛ لأن هذه الكتب الناطقة بتلك الأقول ـ على حد تعبيره ـ أشهر من أن يظن ببعضها أنه منحول!.

كما نحّى فكرة أن يظن بأرسطو مع براعته وشدة يقظته أن يناقض نفسه في علم واحد وهو العلم الربوبي وجعل تلك الفكرة بعيدة مستنكرة ولم يرتض إلاّ أن يكون لها معان وتأويلات تتفق بواطنها.

وقد قدم الفارابي عدة نماذج لظواهر الاختلاف وحقيقة الاتفاق في السيرة العملية وأسلوب التأليف ونظرية المثل، نقتبس منها النموذج الأول لما يتصل به من بحثنا.

قال الفارابي[1]: (ثم من أفعالهما المباينة وسيرهما المختلفة:ـ

تخلى أفلاطون عن كثير من الأسباب الدنيوية ورفضه لها وتحذيره في كثير من أقاويله عنها وإيثاره تجنبها، وملامسة أرسطو طاليس لما كان يهجر أفلاطون حتى استولى على كثير من الأملاك وتزوج وأولد وتوزر للملك الإسكندر، وحوى من الأسباب الدنيوية ما لا يخفى على من اعتنى بدرس كتب أخبار المتقدمين.

فظاهر هذا الشأن يوجب الظن بأن بين الاعتقادين خلافاً في أمر الدارين، وليس الأمر كذلك في الحقيقة، فإن أفلاطون هو الذي دوّن السياسية وهذبها، وبين السير العادلة والعشرة الإنسية المدنية وأبان عن فضائلها وأظهر الفساد العارض لأثقال من هجر العشرة المدنية وترك التعاون فيها، ومقالاته فيما ذكرناه مشهورة تتدارسها الأمم المختلفة من لدن زمانه إلى عصرنا هذا. غير أنه لما رأى أمر النفس وتقويمها أول ما يبتدىء به الإنسان حتى إذا أحكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها إلى تقويم غيرها،

(١) المجموع للفارابي ص ٥.

ثم لما لم يجد في نفسه من القوة ما يمكنه الفراغ مما يهمه من أمرها، أفنى أيامه في أهم الواجبات عليه، عازماً على أنه متى فرغ من الأهم الأولى أقبل على الأقرب حسب ما أوضحه في مقالاته في السياسات والأخلاق.

وإن أرسطو طاليس جرى على مثل ما جرى عليه أفلاطون في أقاويله ورسائله السياسية، ثم لما رجع إلى أمر نفسه خاصة أحس منها بقوة ورحب ذراع وسعة صدر وتوسع أخلاق وكمال، أمكنه معها تقويمها والتفرغ للتعاون والاستمتاع بكثير من المدنية.

فمن تأمل هذه الأحوال علم أنه لم يكن بين الرأيين والاعتقاد من خلاف وأن التباين الواقع لهما كان سببه نقصاً في القوى الطبيعية في أحدهما وزيادة فيها للآخر فلا غير على حسب ما لا يخلو منه كل اثنين من أشخاص الناس). ا. هـ.

أظن أنه قد ظهر ـ من هنا ـ بوضوح أثر الانتماء الفكري لأفلاطون وأرسطو في فلسفة الفارابي الاجتماعية حتى قال دي بور[1]:

«والفارابي يصف أميره بكل الفضائل الإنسانية وكل فضائل الفلسفة فهو أفلاطون في ثوب النبي (عليه الصلاة والسلام)».

* * *

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ١٥١.